الفصل الثالث والعشرون

فما قالوه في الروح بعد الموت وسب إعتنائهم بتحنيط الأموات وإعتقادهم في الجعل (الجعران)

وإتخاذهم التماثيل المعروفة بالمساخيط وبعض شذرات تاريخية

كانوا يقولون أن الإنسان إذا مات تخرج منه الروح وينعقد الدم وتخلو الأوردة والشريانات منه وإذا ترك الجسم بلا تحنيط يتحلل إلى أجزاء صغيرة جداً ليس لها شكل خاص وتتزمل مدركة الفهم بقميص من نور وتلحق بالشياطين العليا أما الروح فإنها مى إنفصلت عن هذه المدركة التي كانت تهديها وتخلصت من كثافة الجسم الذي كانت تسكنه تذهب عاجلاً إلى محكمة (أوزيريس خنت أمنت) المتركبة من اثنين وأربعين قاضياً جهنمياً فينطق القلب

ويشهد بما لها وما عليها من خير أو شر ثم ينصب لها ميزان الحق وبوزن أعمالها فيه وسمبل ويصدر الحكم إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر وتكلف مدركة الفهم بتنفيذه عليها فتدخل في الروح الشقية وهي متسلحة بالنار اللدنية فتضلها وتحسن لها فعل القبيح وتحول دعواتها وصلواتها غلى عبث وهزئ فتجلد بسياط ذنوبها وتسلمها إلى زوابع عناصر العذاب فتذبذب بين السماء والأرض وتصير ممقوتة ملازمة للسب واللعن وهنالك تبحث على جسم إنسان لتسكنه ومتى تيسر لها ذلك أسلمته للعذاب وأثقلته بالأمراض وعرضته للهلاك أو الجنون أو تنقمص بأجسام الحيوانات الدنيئة وتسجن في كل جثة نجسة وتدوم على ذلك قروناً عديدة إلى أن تستوفي جميع ما كتب عليها من العذاب ثم تموت وتنعدم كأنها ما خلقت وما أتى لها ذلك إلا من شهادة القلب عليها وقد وجد على أحد أوراق البردي ما صورته (أيها القلب أيها القلب الذي خلقت لي وأنا في بطن أمي وأتيت معي إلى الدنيا لاتنازعني ولا تشهد علي بين يدي الله). (

أما الروح الراضية المرضية فإنها بعدما تحاسب تحجب عن رؤية الحقائق لأنها لا تصل إلى النعيم إلا بعد معاناة الشدائد وقطع العقبات المعدة لها ثم تهديها المدركة ويأخذ بيدها الرجاء الصالح فتدخل في الفضاء المجهول وهناك تكثر علومها وتزيد قوتها وتتشكل كيف شاءت فتكون كنسر من ذهب أو كطير الغرنوق أو الخطاف (عصفور الجنة) أو كالبشنين وغير ذلك فتكمن لها

الشياطين في طريقها وتحفها الأرواح الخبيثة من كل ناحية وتهجم عليها لتخطفها أو لتخطف عضواً من أعضائها سيما القلب أو تعيق سيرها فتتلو عليهم العزائم الخاصة لذلك حتى تتلاشى قوتهم ثم تتحد (باوزيريس) وتصير مثله أي تدخل في العنصر الذي إنبعث منه وتقطع الذي غنبعثت منه وتقطع المساكن السماوية ولها أن تزور متى شاءت الجسم الذي فارقته فلذا إعتنوا بتحنيط أجسام موتاهم وبالغوا في التحفظ عليها لتبقى إلى الأبد في حالة جيدة وكانوا يعتقدون أن الروح على شكل باشق أو حمامة لها رأس إنسان تنشر جناحيها على صدر تابوت الميت هكذا.

وهذا مطابق لما قاله الرئيس ابن سينا في قصيدته المذكورة بالكشكول ومطلعها

هبطت إليك من المكان الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
ومنها وصلت على كره إليك وربما كرهت فراقك وهي ذات تفجع

وقوله ورقاء أي حمامة وسوف يأتي بقية الكلام على إعتقادهم في الروح.

وقد رأيت بقبر الملك سيتي في بيان الملوك جهة القرنة صورة الحشر والمنشر والحساب والعقاب والمجرمين مقرنين في الأصفاد وقد قطعت رؤسهم أو أعضاؤهم أو غير ذلك وكذا صورة المتقين وهم يرفلون في النعيم المقيم وفي جهة أخرى صورة الميزان وقضاة الحساب يحاسبون الروح ويحصون أعمالها وسيأتي ذلك في الرحلة في بيان الملوك وكثيراً ما كانوا يرسمون ذلك على الورق البردي ويجعلونة مع أمواتهم.

(أ)أوزيريس رئيس القضاة جالس على منصة الحكم (ب ب) الاثنان وأربعون قاضياً المكلفون بحساب الروح وعلى رؤسهم ريشة العدل (ح ح) الروح تحاسب بين يدى القضاة (د) مائدة عليها بعض أرواح الموتى وقليل من القرابين (ه) كاب جهنم أو او أحد الزبانية (و) توت كاتب الأعمال يسجل ما ظهر له (ز) علامة العدل ثم الميزان وفي كفته اليمنى قلب الميت وفي اليسرى معيار الحق (ح) هوروس ينطر كم بلغت الحسنات والسيئات (ط) أنوبيس يراقب كفة معيارالحق (ح ح) المعبودة معت إلهة العدل لها صورتان بيدا حديهما قضيب الملك وبوسطهما روح الميت تتبرأ من كل ذنب. وقال العلامة مسبرو أن طائفة من الناس كانت في ريب من هذا الحساب والعقاب وظنوا أن لا شيء غير الموت إذ هو الطامة الكبرى وأن الدار الآخرة ليست إلا دار الصمت الأبدي ولا هناك شيء غير الحداد والحزن وكأنهم يقولون أنها لأرحام تدفع

وأرض تبلع وما يهلكا إلا الدهر وإستدل على ذلك بهذه النصوص التي وجدت في بعض المقابر لأحد النساء وصورتها يا أخي ياخليلى ياحليلي (يازوجي) كل وإشربه وإطرب وإترع كؤوس الصفا وإنتهز فرصة الدهران صفا وتمتع بكل عيد وإفعل جميع ما تريد وما دمت في دنيالك لا تحزنعلى ما فات ولا لما هو آت لأن مملكة الأموات محل النوم الطويل والظلام الكثيف الثقيل ودار للأحزان والهم والأشجان وأن كل من وافاها لم يفق من نومته ولا يشتاق لرؤية إخوته ولا يهيم قلبه إلى زوجته وينسى الأهل والأولاد ويلبس فيها ثوب الحداد وكل حي يرويه ماء الحياة في دنياه وأنا محرومة منه بعيدة عنه وكل من شرب الماء الزلال إرتوي في الحال وأنا الماء يظمئني ولا يرويني وإني لا أعلم أين أنا منذ ما جئت إلى هنا وها أنا أنوح على شربة من ماء السلسبيل كنوحي على نسيم وادي النيل ليطفئ اللهيب من قلبي الكئيب وها هو إله الموت يدعو الآخرين ويجمعهم بالأولين فيأتون له خاضعين خاشعين ويرتعد لديه الكبير والصغير ويستوي عنده الجليل والحقير فهو لا يسمع لهم دعاء ولا يلبي لصوتهم نداء ولا يقبل منهم فداء أه.

وهذا يقرب مما قاله الوزير أبو بكر لأخيه أبو مُحَمَّد البطليوسي.

يا أخـــي قـــم تـــرى النســـيم علـــيلًا	باكـــر الـــروض والمـــدام شمـــولًا
في رياض تعـــــانق الزهـــــر فيهـــــا	مثـــل مـــا عـــانق الخليـــل خلـــيلًا
لا تـــــنم وإغتـــــنم مســـــيرة يـــــوم	وأن تحـــت الـــتراب نومـــاً طـــويلًا

وهو يقرب أيضاً ما قاله الشيخ السعدي في جلستاته الفارسي من أنه كان مكتوباً على تاج كسري أنوشروان ما ترجمته.

دهـــر طويـــل وأزمـــان وأعصـــرة	ســـتركض الخلـــق فيهـــا فـــوق أرؤســـنا
كمـــا ســـرى الملـــك فينـــا مـــن يـــد ليـــد	ســـينتهي لســـوانا بعـــد أنفســـنا

وقال بعض المؤرخين أن سبب إعتناء المصريين بحفظ أجسام موتاهم كان لأمور صحية لأنه لم يعهد في أيامهم حدوث وباء قط وقال آخرون أنهم كانوا يقولون بالرجعة في هذه الدنيا وأن الروح تعود إلى جسم صاحبها بعد مدة طويلة لتسكنه فإذا رأته تلف وتقطعت أوصاله دخلت في جسم إنسان آخر وهو قول أهل الهند وبعض فلاسفة اليونان مثل فيثاغورس وغيره ومن تأمل في عوائد القدماء وجد أن الرومانين كانوا يحرقون جسم موتاهم ليفنوه بتمامه على الفور والمصريين كانوا يحافظون على بقائه إلى الأبد. والأشوريين وغيرهم كانوا يدفنونه ليبلي شيأ فشيأ

وطائفة من الهنود يرمونه في نهر الكنج ليجعلونه قرباناً إلى التماسيح المقدسة عندهم وسكان مملكة دهومي ببلاد غينا الشمالية كانوا يقدمون له قرباناً من الآدميين وغيرهم.

أما طريقة عمل الجنائز والتحنيط عند قدماء المصريين فقد ذكر هيردوت المؤرخ تفصيل ذلك حيث قال كان من عادتهم أنه إذا مات لهم أحد تضع النساء الطين على رؤسهن ويطفن بالمدينة أو القرية حاسرات الوجوه ويضربن صدورهن ووجوههن وتفعل الرجال مثلهن ثم يحملون الميت إلى المحيطين وهم طائفة أباح لها القانون هذه الصنعة وعندها جملة أنموذجات على شكل الأموات مصنوعة من الخشب المنقوش المزين بالكتابة تتفاوت في الأثمان ومتى حصل الإتفاق على الثمن والكيفية يعود أهل الميت إلى منازلهم ويشرع المحيطون في مباشرة العمل وكيفية ذلك هي أنهم كانوا يخرجون جزأ من المخ بواسطة قضيب من حديد أعوج من أحد طرفيه وما بقى يخرجونه بواسطة العقاقير والتوابل التى يدخلونها في تجويف قحف الدماغ ثم يشقون الخاصرة بموانة حادة ويخرجون منها الأمعاء ثم ينظفونها ويغسلونها بنبيذ التمر ويجعلون عليها التوابل العطرية ويملؤن تجاويف البطن بمسحوق المر والقرفة وغيرها ما عدا المصطكي ثم ينقعون الجسم في سائل مركز بالنطرون مدة سبعين يوماً بلا زيادة ثم يغشلونه ويغسلونه بالسوائل المدبرة ويقمطونه بقط من الكتان المدهون بالغراء ويضعونه في تابوت من خشب الجميز بعدما يطلونه بالجبس وينقشون عليه اسم الميت واسم أبيه وصنعته ويسلمونه لذويه فيأخذونه ويحملونه إلى دارهم ويجعلونه في خزانة واقفاً مرتكزاً على حائط منها أو يدفنونه في قبر العائلة.

أما الأحشاء وهي الأمعاء الكبيرة والصغيرة والقلب والكبد فكانت توضع في أربع قدور من المرمر أو الفخار وترصد على أربعة من الجان توضع في أربع زوايا القبر ولست هذه الطريقة مطردة في تحنيط جميع الأموات لأن فيها كلفة على الفقير الذي لا يستطيع دفع ثمن هذه التكاليف الكثيرة ففي هذه الحالة كانوا يستعملون طريقة التحنيط بواسطة الملح والقطران أو بالملح فقط ويعملون من جريد النخل تابوتاً بدل خشب الجميز وربما دهنوا الكفن بالقفر أو القار حتى يصير الجسم كالخشب الصلب القوي وذلك لا يمكن فكه إلا إذا تهشم الجسم بنحو بلطة ورأيت على بعض هذه الأكفان أختاماً مصنوعة من مادة سوداء تميل إلى الحمرة واقعة على أشرطة فوق الجبهة والصدر والسمرة فظننت أن أصحابها من النساء الأبكار لكن علمت فيما بعد أنها أختام القسس التي كانت تضعها على الأموات من الذكور والإناث لأجل التبرك بها. وكثيراً ما يرى على توابيت الموتى صورة الجعل (الجعران) حاملًا صورة قرص الشمس بين قرنيه أو

مادا جناحيه أو صورةالمعبود نوت (السماء) عند قدميه وبعض المعبودات تحفه بأجنحتها لتقيه الشر في الدار الآخرة أو يكتبون عليه فصلًا من كتاب الموتى أو صورة الحساب والميزان أوعيني أوزيريس أو غير ذلك ولم يقتصروا على تحنيط موتاهم بل حنطوا البقر والتماسيح والطيور والقطاط والهوام والزواحف والأسماك ويري أحياناً في عنق الميت أو على صدره أو في فمه جعل وعلى صدر المرأة قلائد أو سجع من الخرز أوعقود من تماثيل المعبودات الصغيرة أو أشياء أخرى من المصوغات.

أما إعتقادهم في الجعل فهو أنهم كانوا يزعمون أنه يجعل الميت في رعاية المعبود الذي هو رمز عليه وهو المعبود (خبر) أي الشمس المشرقة كل يوم المتجددة صباحاً بعدما ماتت بالعشي وسجنت في قرصها ووضعت في سفينتها اللدنية ودعالها كل من أوزيريس ونفتيس حتى صارت في أمان من كيد أعدائها وقطعت ساعات الليل وتجددت صباحاً فلذا كانوا يجعلون الجعل مع أمواتهم كالتمائم وربما كتبوا على بطنه شيأ من كتاب الموتى

ولما كان لفظة (خبر) معناها الصيرورة صار الجعل عندهم رمزاً على تجديد الحياة كالشمس التي تجددت بعدما ماتت أو على ما يؤل إليه أمر الروح في الملكوت لأن من عادة الجعل أنه بيض بيضة واحدة ويطبق عليه رجليه من خلف ويد حرجها بهما حتى تكتسب الملاسة وتتم أيامها فيخرج منها جعل صغير ثم تموت الأم فكأن الحياة إنتقلت منها إليه أو صارت جعلًا جديداً وكانت نساء القدماء يحملن صورته كالقلائد في أعناقهن أو يجعلنه أقراطاً في آذان أو يتختمن به للتبرك أو لمجرد الزينة وكذا الرجال كانوا يتختمون به ويكتبون عليه علامات مشتبكة في بعضها ليس لها معنى أو علامات لا يعرفها غيرهم وتارة يكتبون عليه أسماءهم أو ألقابهم أواسم ملك عصرهم وتارة تكون عليه فائدة تاريخية أو يكون عليه أدعية أوغير ذلك مما يطول ذكره وقال بلوتاركه أن طائفة الجند المصري إتخذت خواتمها من الجعل وقال غيره ان الجند إنما فعلت ذلك لأن الجعل يدل على التذكير إذ ليس له أنثى من جنسه ولأنه سهل المحمل سواء كان مركباً على خاتم أوغير مركب سيما وأنه يمكن أن ينقش على بطنه كل ما يراد وقد وجد على بطن بعضها صورة الجعل نفسه وصورة الأسلحة أو الرجال بسلاحها أه.

أما التماثيل الصغيرة الخزفية التي توجد الآن مع الأموات المعروفة عندنا باسم المساخيط فكانت تسمى عندهم (شبيتي) أي الوكلاء أو النائبون لأنهم كانوا يعتقدون أنها تؤدي وظيفة

مهمة يوم العقاب منها أنها تجيب عن الميت عندما يطلب للحساب والعذاب ومنها أنها كانت تقوم مقامه في تأدية أشغال السخرة التي كان أوزيريس وطلبها من الأموات وقد وجد على كثير منها نصوص تؤيد ما قلناه فقد وجد على أحدها مكتوب (أنا خي خادم الجحيم) وكثيراً ما يوجد على بعضها تأكيد على البعض الآخر منها بحسن أداء الخدمة يوم الحساب للميت التي هي معه من ذلك ما صورته (يا نائب عن أهموس إذا نودي باسم أهموس وطلبوه للشغل في الجحيم صح أنت بدله قائلًا ها هو أنا أهموس) ومنها (أيها النائبون عن الرئيس فتاح موس إذا سمعتوهم نادوا باسم الرئيس أو جعلوه مع الذين عينوهم لأداء جميع الأشغال في الدار الآخرة وحتموا على فتاح موس الذي قهر الأعداء أن يشتغل في الأشغال الشاقة كأن يزرع الغيطان أو يملأ الترع والخلجان أو ينقل الحب من الشرق إلى الغرب صيحوا قائلين ها هو أنا ها أنا ذا صيحوا وإرفعوا أصواتكم ولو نودي اسمه في كل ساعة من النهار) وكانوا يكثرون من هذه التماثيل مع الميت ليكون أداء الخدمة محققاً ويعتق الميت من مشقتها حتى أنهم كانوا يجعلون معه مئات بل آلافا فتارة يلقونهم في تابوت الميت أو في قبره بلا ترتيب وتارة يضعونها في صناديق خاصة كبيرة أو صغيرة وكانوا يصنعوها من الخزف أو الفخار ويطلونها بمادة زجاجية زرقاء أو يتخذونها من الرخام أو المرمر أو من الأحجار الجبرية أو غير ذلك وقد وجد منها من بيده فاس كأنه مستعد لفلاحة الأرض ومن معه مخلاة لبذر الحب أو نقله أو إناء لسقي الخمر أو مفتاح النيل أي علامة الحياة بعد الموت وغير ذلك أما التمساح وفرس البحر والثعبان فكانت رمزاً على إله الشر عندهم المدعو (تيفون) وكانوا يعبدونها ليتقربوا بها إليه إتقاء شره وكانت هذه المعبودات تقدس في بعض الجهات وتقتل في البعض الآخر مثل التمساح فإنهم كانوا يعبدونه في إقليمي الفيوم وطيبة فكان يستأنس بالناس حتى يأكل في أيديهم وهو معزز عندهم مبجل لديهم كبير في أعينهم مع أن أهل جزيرة أسوان ودندره كانوا يمقتونه وينفرون من رؤيته ويصطادونه ليقتلوه أو ليعذبوه بأنواع العذاب ويشدون وثاقه في الشمس الحارة حتى أن بعض البلاد التي كانت تبغضه عبدت الشمس لأن من دأبه إتلاف بيضه.

وقال هيرودوت أن أهل الفيوم كانت تجعل في أذنه قرطاً من ذهب أو من خزف منقوشاً المينة وفي يديه أساور من ذهب إلى أن قال وأكل ضيفنا النطير والسمك والمقليات وشرب شراباً محلى بالعسل وذهب معنا إلى البحيرة ونام على شاطئها فاتت القسس إليه وتقدم اثنان منهم وفتحاته ووضع الثالث فيه من الفطير المقلي وسقاه المرطبات وبعد ذلك نزل الماء وسبح فيه

حتى وصل الشاطئ الآخر فأتى إنسان ومعه نذر له فناوله للقسس فأخذته منه وسارت به على شاطئ البحيرة حتى وصلت إليه وأعطته له بالطريقة المتقدمة ثم قال في موضع آخر وهذا الحيوان لا يأكل مدة أربعة أشهر الشتاء ويعيش في البحر كما يعيش في البر وبيضه قدر بيض الأوز يدفنه في الرمل فيفقس فيه بلا تحضين لأن حرارة الشمس تكفيه ومتى خرج من البيضة ينمو بسرعة عجيبة حتى بلغ سبعة عشر ذراعاً فصاعداً وليس له لسان كباقي الحيوانات ومتى أكل حرك فكه الأعلى على الأسفل خلافاً لباقي الحيوانات ولعينيه مشابهة بعيني الخنزير بارز الأنياب عظيمها بالنسبة لجسمه حاد المخلب جداً مفلس الظهر صلب الجلد قوي البصر حديده في البر ضعيفه في البحر مرهوب الخلقة مهول الطاعة تخشاه الدواب والطير بفمه حشرات صغيرة تغذى من دمه لأنه يأكل عادة في الماء ومتى خرج فتح فمه إلى الهواء فيأتي طير صغير ويدخل في فيه ويلتقطها منه ثم يخرج بدون أن يصل غليه منه ضرر.

أما صيده فله جملة أنواع أعظمها أن الصيادين يجعلون في كلاليب (خطاطيف) من الحديد فلذات من لحم الخنزير ويلقونها في الماء ثم يضربون خنزيراً آخر على البر فيسمع التمساح صوته ويقصده فيرى في طريقه الكلاليب باللحم ومتى بلعها شبكت في جوفه هنالك يسحبونه إليهم ومتى أخرجوه من الماء طهسوا عينيه بالطين وفعلوا به ما أرادوا وإلا تعذر عليهم فعل أي شئ به أه.

وقال المؤرخ (شمبليون فيجاك) الذي نعلمه أن التمساح يأكل طول السنة صيفاً وشتاء خلافاً لما قاله هيرودوت وأنه حيوان بحري بري متوحش صاري مفترس مهول جسور متيقظ محتال ماكر يربض للنساء اللاتي يأخذن الماء من النيل ويغتالهن وفي سنة ١٨٢٠ مسيحية ضرب أحد الأرنؤد (الأرناؤط) خيمته على الساحل بجوار بندر اسنا فدخل عليه تمساح وخطفه من رجله وإنقض به في النهر وهذا الحيوان يعيش في البر لكن يفضل الماء ولسانه رقيق جداً محجوب في أغشية الفم وأن الشمس تنضج بيضه فيفقس من حرارتها وقد جمع أحد سياحي الإفرنج حينما كان ببلاد النوبة كثيراً من بيضه وجعله في سفينته ففقس البيض وخرجت أفراخ التماسيح ليلًا وملأت السفينة وهو لا يدري ولما رأى ذلك صباحاً هاله الأمر وأكبره (لم يذكر لنا المؤرخ ماذا فعل بها) وأن النمس يتلف بيضه فيأتي إلى النيل ويأخذ في التجسس على بيضه فيضع أذنه على الرمل ليسمع همس الفرخ داخل البيضة فيخرجه في الحال ويتلفه وجلد التمساح صلب جداً حتى أن الإنسان إذا أطلق عليه عياراً نارياً تنزلق رصاصته من فوق تفاليس

ظهره ولا تؤثر فيه وإذا كان نائماً لا تكاد تيقظه ويسافد أنثاه بعدما يقلبها على ظهرها ثم يعيدها إلى ما كانت وإلا بقيت مطروحة لا تستطمع حراكاً عرضة للموت والصياد لأنها لا تقوى على أن تنبطح من نفسها أه.

وصارت التماسيح الآن مجهولة بالكلية لغاية الشلال الأول مع أنها كانت في مبدأهذا القرن تأتي إلى القاهرة وكانت تأتي في قديم الأزمان هي وفرس البحر إلى مصاب النيل بقرب البحر المالح (راجع المقريزى وتاريخ عبداللطيف البغدادي) والسبب في عدم وجودها الآن بالنيل هو هدير الدواليب البخارية والطلقات النارية وقد أخبرني بعض الشيوخ بالصعيد وكان من صياديه أن الرصاصة لا تؤثرفيه قط إن أخطأت عينه أو تحت إبطه وأنه يغتال الناس والحيوانات بذيله ولا يقدر على أخذ السابح في الماء ومتى وجد إنساناً جالساً على الساحل أتاه من خلفه ودفعه في الماء وإغتاله ولنرجع إلى ما كنا بصدده.

ولما كان لكل إقليم معبودات خاصة به كانت عقارب العداوة تدب بين الأهالي ما عدا الكهنة وتحيك الضغائن في صدورهم فيكثرون من المشاغبات الدينية والجليات الوثنية والجلبات النفسانية وليس هذا بعجيب فإن من طالع التواريخ القديمة علم أن إختلاف الأديان كان سبباً وحيداً للحروب الطويلة وسفك الدماء كالأنهار وخراب الممالك العامرة وتدمير المدن الآهلة من ذلك حرب الأزارقة الذي مكث تسع عشرة سنة بن نافع بن عبدالله بن الأزرق والمهلب بن أبي صفرة أيام كل من عبدالله بن الزبير رضي الله تعالى عنه وعبدالملك بن مروان الأموي وكان من مذهب الخوارج أي الأزارقة أن كل من إرتكب كبيرة خرج عن الإسلام ووجب قتله وأيدوا حجتهم على ذلك بكفر إبليس وقالوا ما إرتكب إلا كبيرة حيث أمره الله بالسجود فإمتنع وإلا فهو عارف بوحدانيته عز وجل وقال المهلب للحجاج الثقفي رأيت الرجل منا يطعن الرجل منهم فيمشي في الرمح إلى قاتله ويقتله وهو يقول وعجلت إليك رب لترضى فإنطر ما فعلته المذاهب مع أن كلا من الطائفتين تقر لله بالوحدانية ولنبيه بالرسالة (راجع ذلك في كتاب سرح العيون نمرة ١٠٤) وقال المؤرخ (ولهلم ريدانباخر) ما ملخصه (وفي سنة ١٣٧٨ مسيحية إستولى بابوان أحدهما في رومة بإيطاليا والثاني في أفنيون بفرنسا فكانا كالثعابين المؤلفة يتفلان ناراً على وجه بعضهما حتى حكم كل واحد منهما على صاحبه بالزندقة والإلحاد ورماه بالهرطقة والكفر وأن مصيره إلى الدرك الأسفل من النار هو وأشياعه والذي نعلمه أن مقام البابا يجل عن كل مقام لأنه رئيس الديانة العيسوية وإليه مقاليدها ولا نعلم أيهما كان النبي الكاذب وأيهما كان ابن الشيطان

ومازالا يسخطان على بعضهما حتى إنقسمت الممالك إلى حزبين وقامت القيامات وقويت الحروب وإشتدت الحمية وكثرت العربدة وإنفجرت ينابيع الفتنة وعلا شواظ الهياج وتأجج وهج الشر وكان كل واحد منهما يضرم لهيب الخصام وينفخ في نار الثورة ويستفز قومه على الإيقاع بعدوه ليخلو له مسند البابوية وكانت أمراء البلاد وأهل الميسرة من الطرفين يمدون الأهالي بالزاد والراحلة ومازال الخطب يشتد وسيف البغي يمتد إلى القرن الخامس عشر فكم تلفت أموال وتجندلت رجال وتيتمت أطفال وليس لذلك سبب غير شره البابوات) راجعه في الكتاب المذكور إن شئت).

وذكر في بعض التواريخ الفرنساوية المعتبرة أن في سنة ١٤٥٣ مسيحية لما هجم السلطان مُحَمَّد الثاني على مدينة القسطنطينية عاصمة بلاد الروم وأراد أخذها من يد ملكها قسطنطينوس إستصرخ هو وقومه بالبابا في رومة فقال لهم إن أردتم أن أنقذكم من يد عدوكم إتبعوا مذهب الكنيسة الغربية فأبوا أن يرضخوا لقوله وآثروا ضياع ملكهم على إتباع مذهب غيرهم وبذلك وقعت مملكة الروم بأسرها في قبضة آل عثمان.

وقال المؤرخ دروي في تاريخه لما إنهزم المسلمون من أسبانيا (الأندلس) وإستولى عليها الإفرنج رتبوا بها مجلساص لإختبارعقيدة الفصارى وهو المعروف عندهم بالتفتيش الديني فحكم على ٣١,٩١٢ نفساً بالحرق وعلى ٢٩١,٤٥٠ نفساً بالأشغال الشاقة مؤبداً وجميعهم من النصارى لإعتزالهم المذهب إلى آخر ما قال هذه هي العداوة المذهبية فما بالك بالعداوة الدينية راجع تاريخ الحروب الصليبية وما حصل لليهود من نصارى اسبانيا بعد خروج المسلمين منها وما معنى المسئلة الشرقية التي تكلم عنها صاحب كتاب الوافي في صحيفة نمرة ٤ من مقدمة كتابه وماذا فعل المصريون ببني إسرائيل مدة إقامتهم بمصر وما فعلته دولة فارس بعد إستيلائها عليها وهاك طرفاً مما فعلته عرب الرعاة أو العمالقة بعد دخولها في هذه الديار.

لما هجر الكوشيون وطنهم المعروف قديماً باسم بلاد (البون) لعلها اليمن أو بلاد العرب قصدوا جهة الشمال وإنضم إليهم فوج من الناس الذين كانوا في طريقهم إلى أن وصلوا نهر الفرات وبحر النجف ثم توجهوا إلى بلاد الشام من جهة الشمال فخضع لسطوتهم كثير من البلاد حتى دخل تحت سلطانهم جميع الأقاليم المحصورة ما بين نهر الفرات وبرزخ السويس ولما كان غناء مصر وثروتها يجلبان لها طمع الأجانب قصدها فريق منهم مدة العائلة الرابعة عشرة بعد أن جابوا

الصحراء المعتبرة حداً فاصلًا بين آسيا وإفرقيا وسطوا عليها سطوة الذئب على الغنم فعاثوا في ربوع تلك الأمصار وجاسوا خلال الديار وخربوا مدينة سخا عاصمة الوجه البحري وقال المؤرخ مانيطون المصري في تاريخه (تولى على مصر ملك من أهلها يدعى (طمايوس) وفي أيامه أرسل الله علينا ريحاً مشؤمة هبت على جميع بلاد المشرق ولا أدري لذللك سبباً فساقت إلينا أمما أوغاداً أدنياء دخلوا مصر بغتة ونزعوها من يد أهلها بلا مقاومة أه) وقال غيره نزلت أمة العالقة أو الهكسوس على مصر كالجراد المنتشر فأضرموا بها نيرانهم الحسية والمعنوية ونهبوا المدن والهياكل وأوقعوا بها الدمار حتى صارت خراباً ويبابا وقتلوا الرجال وأسروا النساء والأطفال وإستولوا على جميع الوجه البحري ووقعت مدينة منفيس في قبضة جبروتهم وأثقلوا

كاهل من نجا من الموت بالمغارم وقال بروكش باشا لما نزات الرعاة بأرض مصر وكانوا أخلاطاً من الهمج سطت أيديهم على جميع ما بها فدمروا البلاد وأبادوا العباد وحرقوا الديار وأتلفوا الآثار وأكثروا القتل وأهلكوا الحرث والنسل فأصبحت مدن الوجه البحري كأن لم تكن بالأمس وألزموا من أسروه بعبادة الصنم سوتح معبودهم ولأجل توحيد عبادته خربوا المعابد المصرية وكسروا الأصنام الأهلية وفعلوا كل مكر قدروا عليه وإنحاز سكان الوجه القبلي إلى مدينة طيبة بالصعيد وحصنوها وإستولى على الرعاة ملك منهم يدعى شلاطي ويعرف عمد البونان باسم سلاطيس وإتخذ مدينة صان تختاً له وأسس قلعة هوعر المعروفة الآن باسم تل النهر أما ما فعلوه من الفطائع فبقى منقوشاً في صدور المصريين نحو الألفي سنة بتوارثه الخلف عن السلف إلى زمن المؤرخ مانيطون المصري إلى آخر ما قال وقد وجد على ورقة من البردي ممزقة ما صورته (كانت الديانة وتوزيع ماء النيل سببين للحرب).

وذكر المسيودي مرجان نقلًا عن فهرست المتحف المصري للعلامة مسبرو أن نمرة ١١٧٤ هي صندوق الملك (سوكن إن رع) أحد ملوك العائلة السابعة عشرة وهذا الصندوق ثمين وثقيل وعليه طبقة من مسحوق الرخام والجير وكان مذهباً وعلى غطائه صورة الملك ورأسها والعصابة مدهونان باللون الأصفر وعلى الجبهة صورة الثعبان الملوكي ويمتد من الصدر إلى القدم سطر مكتوب بالقلم القديم غير أن الأحرف ليست متقنة وأما الموصية فكانت مقمطة بقماش غليظ بدون كتابة ظاهرة وفتح الصندوق يوم ٩ يونيه سنة ١٨٨٦ مسيحية وهاك ترجمة ما عليه من الكتابة (مات الملك سوكن إن رع في محاربة الرعاة فضرب ببلطة أزالت خده الأيمن وكسرت فكه الأسفل وكشفت أسنانه وضرب ثانية فشجت رأسه حتى ظهر المخ) ويشاهد بجانب العين اليمنى

جرح مفتوح ناشئ من ضربة رمح أو خنجر وحالة الجثة غير جيدة لتحنيطها بسرعة أهـ.

وروى مسبرو عن ماريت أنه يستدل من تماثيلهم وأصنامهم التي صنعت في أيامهم ووجدت حديثاً في خراب مدينة صان أن عيون القوم كانت صغيرة وأنوفهم عظمة مقوسة مفرطحة ووجناتهم ضخمة ظاهرة بالعظام وذقونهم بارزة وفمهم منخفض من طرفيه ويظهر على تقاطيع وجوههم قحولة وصلابة وشعرهم المرسل الساتر لجميع رؤوسهم يعطيهم هيئة خاصة بهم راجع باقي تاريخهم في محله وإلى هنا رددنا جماح القلم.